بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 36 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:15\03\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال الكلام في الآية، ونقف قليلاً عند هاتين المفردتين: ﴿عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

ذكر بعض علماء التفسير أنه يوجد في هاتين المفردتين وجوه:

الوجه الأول: أن العبوس هو الذي يظهر على وجهه مظاهر الغضب أو التنفر من الشيء. والقمطرير بمعنى الشديد. فحينئذ تكون الآية المباركة قد وصفت يوم القيامة بأنه عبوس، مكفهر، وفي غاية الشدة.

الوجه الثاني: أن العبوس هو الضيق. والقمطرير هو الطويل. فيوم القيامة يوم فيه ضيق وطويل، تارة ضيق لفترة محدودة يمكن أن يتحملها الإنسان، لكن إذا كان لفترة طويلة يكون أكثر إيلاماً وخوفاً وخشية.

الوجه الثالث: أن العبوس والقمطرير كلاهما يدلان على انعكاس حالة الغضب والخوف على الإنسان، لكن العبوس انعكاسها على الشفتين، والقمطرير انعكاسها على الجبهة والجبين. وهذا خلافه المتعارف؛ إذ عادة نقول لهذا الانعكاس على الجبهة عبوس. لكن هكذا الموردي في تفسيره ذكر هذه الوجوه الثلاثة.

إذا رجعنا إلى كتب اللغة نجد أن الوجه الأول هو المتعين، عبس في أصل اللغة العربية تدل على نوع من الانكماش في الشيء، ولذا كثر استعمالها في الحيوانات عندما يتلوث ذيلها بالبول والأوساخ فتجمد، فيقال له عبوس وعبس، وهناك أشعار في هذا المعنى عند العرب.

هذا الانكماش في حالة الشيء يقال له عبس وعبوس؛ وباعتبار أن الإنسان في حالة الغضب أو الخوف أو غير ذلك من الانطباعات النفسية، تظهر على وجهه حالة الانكماش، محل هذه الحالة ربما يكون

في الغالب في الجهة، لكن لا بمعنى أن كونه في الجبهة أخذ في المعنى الحقيقي للمفردة، وإنما المقصود ظهور هذا الانطباع النفساني على وجه الإنسان، سواء على عيونه أو جبهته أو شفتيه، فهو لا يؤثر. ففي أصل اللغة العربية هذا هو معنى العبوس، ما يقال له إنه مقطب الوجه، مكفهر الوجه، أي ما فيه من انطباع نفساني من قبيل الخوف والغضب ظهرت أمارته على وجهه.

وأما القمطرير، فهذه الكلمة في اللغة العربية تعني -في الواقع- الشدة، وتستعمل في الغالب في الشر، ما كان فاشي الشر وشديده يقال له القمطرير.

فتكون الآية الشريفة قد وصفت يوم القيامة بكونه عبوساً، أي ظهر عليه ما يعانيه الإنسان فيه، وفي أشده.

سوف يأتي ما هو الوجه في كون العبوس والقمطرير جعلت صفة لليوم مع أن حقها أن تكون صفة للإنسان.

أما بالنسبة للشرح التركيبي لهذه الآية المباركة، فهناك أمور نقف عندها:

أولاً: في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا﴾ يحتمل فيه احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يرجع ذلك إلى الإطعام، ﴿نُطْعِمُكُمْ﴾ وذلك الأول ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ والثاني ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾، فالإطعام لعلتين لوجه الله وللخوف من يوم القيامة.

الاحتمال الثاني: أن يرجع قوله: ﴿إِنَّا نَخافُ﴾ إلى قوله في الآية السابقة ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾، لا لنطعمكم، نخلص في النية ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ لأننا نخاف من ربنا يوم القيامة، الخوف تعليل لعدم إرادتنا للمكافأة للإخلاص، نخلص ﴿لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾ لا نريد مكافأة؛ لأن أخذ المكافأة على الصدقة تعرضنا للمسائلة في يوم قيامة، ونحن نخاف من يوم القيامة.

مثل الفخر الرازي تردد بين هذين الاحتمالين ولم يحسم الأمر. وهنا ينبغي أن ندقق في الألفاظ كي نستطيع أن نعين احتمال الصحيح.

فالإنسان يقول: أنا أتصدق لسببين، إطاعة لأمر الله، وخوفاً من عقابه. فيكون واضحاً مثل هذا التعبير أن الثاني هو كالأول سببيته لهذا العمل والصدقة.

أما الآية الشريفة عبرت بجملتين مستقلتين من دون أن تعطف إحداهما على الأخرى ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرا﴾ هذا إخبار أن هناك جماعة من الأبرار يفعلون هذا الفعل، ثم الآية صورت قولهم –سواء كان القول اللساني أو النية والقول القلبي– بصورتين ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُورا﴾ فلا نريد مكافأة، ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ فجملتان مستقلتان، خصوصاً الثانية صدرت بأداة تأكيد، فمع تصديرها بأداة التأكيد، ومع العلم بأن تأكيد الجملة الخبرية لا يقال لخال الذهن، وإنما تقدم لمن ينكر، فهناك إنكار، والإنكار إما أن يكون على مستوى اللسان وإما أن يكون على مستوى العمل. كمثل ما في قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1] كل البشرية تعرف بأن الإنسان سوف يموت، فلا يوجد إنكار قولي، لكن يوجد إنكار عملي، فيتصرفون كما لو كانوا مخلدين. فأداة التأكيد لا بد أن توجه إما للمنكر قولاً واعتقاداً وإما للمنكر ولو عملاً.

فهذا التعبير في الآية الثانية ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ باعتقادي فيه شيء من التعريض بالذي يترك أفعال الخيرات أو فقل بالذي لا يتزود من هذه الدنيا لتلك الدار ولذلك اليوم، فهذا نوع من الإنكار العملي. فجاءت الآية الشريفة لتقول هؤلاء الأبرار يقومون بأعمال الخير والبر لوجهه تبارك وتعالى، وفي الوقت نفسه يقدمون زاداً لذلك اليوم. فهذا التأكيد فيه تعريض بمن لا يعمل لذلك اليوم.

لكن الملفت للنظر، وهذا الأمر الثاني الذي سوف نبحثه إن شاء الله فيما سيأتي أنه في هذه الآية قالت ﴿إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً﴾ فصرحت بالخوف من الرب وليس الخوف من اليوم الذي هو عبوساً قمطريراً. بينما في آيات سابقة ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ فالخوف من اليوم، فهذا ينبغي أن نقف عنده، فما هي علاقة ﴿نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ و﴿نَخافُ مِنْ رَبِّنا﴾ بينما هناك قالت الآية ﴿يَخافُونَ يَوْماً﴾ الخوف من ذلك اليوم، بينما في هذه الآية الخوف من الله سبحانه وتعالى. وهذا ما سوف نتحدث عنه في الدرس القادم.

---

[1] الزمر: 30